جامعـــة البصـــرة
كليـــة الاداب
قسم الفلسفة

اســـــم المـــــادة
الفلـــــسفـــة الوسيطـــــة

المرحلة الثانـــية

مدرس المادة
المدرس المساعد
حسن السيد محمد الجابري

مدخل في الفلسفة الوسيطة

(اليهودية والمسيحية)

اولا: مدخل في مفهوم اليهودية (النشأة والتطور والمصادر)

نقدم في الصفحات التالية وصفاً للديانة اليهودية يهتم بنشأتها وتطورها في التاريخ، وتحديد المراحل التاريخية التي مرت بها.

تحتل الديانة اليهودية مكانة مهمه في تاريخ الاديان فهي اقدم الديانات التوحيدية ولها دور كبير في فهم طبيعة ديانات الشرق الادنى القديم، كما ان لها علاقة دينية قوية بكل من المسيحية والاسلام، بالإضافة الى اهميتها في فهم التاريخ اليهودي[١] فهي خلاصة من التأملات العقلية لطائفة من مفكري اليهود تمت صياغتها نتيجة استلهام النصوص الدينية المقدسة ،وتراث وخبرات الشعب اليهودي في التاريخ، وقد اتسعت مجالات هذه الفلسفة لتشمل الكسمولوجيا، والاخلاق والسياسة ،وتباينت اتجاهاتها بين المحافظة والتجديد[٢] وعلى الرغم من ان اليهودية ديانة توحيدية في الاساس اشتملت على عدد من النصوص التي اتى بها انبياء بني اسرائيل، وكلها تركز على التوحيد كعقيدة أساسية وتدعو الى تخليص التوحيد من شوائب الوثنية التي التصقت ببني اسرائيل نتيجة مخالطتهم لشعوب كانت وثنية في ذلك الوقت، حيث بدأت الفلسفة اليهودية في الظهور اواخر القرن الاول ق.م مع "فيلون الاسكندري" وازدهرت في العصر الوسيط في ظل الحضارة الاسلامية وصولا الى العصر الحاضر[٣] ورغم تلك الدراسات العديدة التي تناولت الديانة اليهودية الا ان الغموض مازال يلف الكثير من جوانب هذه النشأة والكثير من مراحل تطورها الى درجة يصعب معها اعطاء رأي قطعي بشأن اصول او منابع الديانة اليهودية، ومما لاشك فيه ان سبب هذا الغموض لا ينحصر في ارتباك المعلومات التي تقدمها المصادر الاصلية لهذه الديانة كالتوراة والتلمود بقسميه البابلي والفلسطيني، بل وحتى في المراجع التي تناولت مسيرة الديانة واصولها وفروعها [٤] فلا يمكن بأي حال القول ان الديانة

---

(١)احمد،محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية،ص١١.
(٢)عبدالغني، تطبيقات الفلسفة اليهودية
(٣) ظاظا، حسن: الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، ص٢١-٢٢.
(١) حبيب، باسم محمد: الديانة اليهودية. دمشق موقع maherese-net.org

اليهودية تمتد بعمرها الى الزمن المفترض لعصر ابراهيم الخليل الذي ربطه المؤرخون بالعصر البابلي القديم أوائل الالف الثاني ق.م[١] لان هذا مما اضيف اثناء تدوين التوراة في بابل اذ من المرجح وفق اراء المؤرخين ان التوراة الأخيرة كتبت في بابل ،وقد وجد ان قصة ابراهيم تمثل احدى القصص الشهيرة المتداولة في ذلك العهد فقام بإضافتها كجزء من سيرة الديانة اليهودية ثم اخترعوا سلسلة طويلة من الاباء يملئون الفجوة الزمنية بين موسى وابراهيم ليصلوا بأصولهم الى ابعد مدى بالزمن ، وعلى الارجح يمثل اسلاف اليهود جهات مختلفة من بينهم بقايا الهكسوس الذين بقوا في مصر بعد خروج الحكم من ايديهم خلال عهد الاسرة الثامنة عشر(١٥٨٠-١٣٢٠ ق.م) ومن المحتمل ان يكون هؤلاء من الاسرى اللذين اصبحوا عبيداً لدى المصريين[٢] لكن هناك من يربط اليهود بجماعة "الهابيروا او العابيروا" وهؤلاء على ما يبدو من الجماعات التي تعيش على الارتزاق والعمل لدى الحكام وغيرهم[٣] هذا مما يعني ان اليهودية بدأت في التاريخ ديانة بسيطة ثم تطورت تاريخياً، الامر الذي اضاف الى بنيتها الأساسية البسيطة تغيرات وتعديلات ادت الى ان تصبح على درجة من التعقيد ابتعدت عن بساطتها القديمة[٤]

اما مراحل تطورها فانه ،يمكن القول ان اليهودية تلقت عدة تسميات ومراحل خلال تاريخها الطويل منها :

اولاً: المرحلة الاولى من نشأتها سميت بديانة الاباء[٥] المقصود بها ديانة الاباء التي سبقت موسى عليه السلام في التراث القديم ، ومن اشهر الاباء على الاطلاق ،ابراهيم، واسحق

---

(٢)سوسة، احمد: العرب واليهود في التاريخ ،ص ١٦.

(٢) ابو نحلة ، اسامة: نقد نماذج لدراسات العهد القديم، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني لمؤسسة فلسطين للثقافة.

(٣) سوسة، احمد: العرب واليهود في اريخ بغداد،ص١٧

(٤) احمد، محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية،ص١٨٩.

(٥) المقصود بالآباء: مجموعة من الشخصيات النبوية التي تبدأ بأدم عليه السلام وتنتهي بموسى وهارون عليهما السلام ووفقاً لمراحل التاريخ اليهودي العام فان ديانة الآباء تشتمل على تاريخ الديانة في المرحلة العبرية التي تبدأ بإبراهيم عليه السلام، ولا تدخل هذه المرحلة تحت ما يسمى المرحلة العبرية انا يدرجها المؤرخون داخل عصر الاباء وديانتهم، للتفاصيل انظر احمد، محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية،ص١٨٨.

ويعقوب عليهم السلام، ويتجه بعض المؤرخين الى ضم ادم ونوح الى مجموعة الاباء وذلك لتبرير الروايات التوراتية الخاصة بها في سفر التكوين بالإضافة الى التأكيد على عودة سلسلة الانساب الخاصة ببني اسرائيل الى بداية الخليقة.. ومع ذلك فالآباء اللذين يركز عليهم التراث الاسلامي هم ابراهيم واسحق عليهم السلام، ثم ابناء يعقوب عليهم السلام، وينهي بعض المؤرخين سلسلة الاباء هذه بموسى ،بينما يعتبر البعض موسى بداية لمرحلة تاريخية ودينية جديده في التراث الاسرائيلي[١] ويمكن تلخيص طبيعة هذه المرحلة من مراحل تطور اليهودية في ان ديانة الاباء العبريين كانت ديانة بسيطة غير معقدة يغلب عليها الطابع البدوي الصحراوي ،كديانة العرب قبل الاسلام، وانها تكن تشمل على بناء عقائدي متكامل ،وان المفهوم الديني الوحيد الذي بدا بدوره خلال هذه الفترة هو مفهوم التوحيد والذي لم يبدأ توحيداً خالصاً لكنه توحيد شق طريقه وسط نظام تعددت فيه الآلهة التي يعتقد ان العبريين القدامى قد عبدوها الى ان تم تركيز الاباء المذكورين على عبادة" يهوه"[٢]

ثانياً: المرحلة الثانية تمثل مرحلة ديانة موسى "ع" من مراحل تطور اليهودية، كعقيدة وشريعة وهي تعتبر بحق اهم مرحلة في هذا التطور الديني لأنها الفترة التي تم الاعتماد فيها على الوحي كمصدر اساسي للعقيدة والشريعة فهي البداية لما يسمى بالديانة الموسوية[٣] وان البداية الحقيقية لما يسمى بالديانة الموسوية تعود الى فترة الوجود العبري في شبه جزيرة سيناء،(وهي منطقة صحراوية)طبعت ديانة موسى ببعض الصفات البدوية الصحراوية التي ميزتها قبل دخول أرض كنعان وبداية التغير الاجتماعي والاقتصادي والديني في حياة العبريين والذي ينتج عن الاندماج في حضارة الكنعانيين. خلال هذه الفترة تم التعرف على الاله "يهوه" في صورة واضحة

---

(١) دراز، محمد صلاح: مراحل تطور الديانة اليهودية، http://www.kabsmennour.com و يهوه: هو الاله الحقيقي الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس وهو خالق الاشياء للتفاصيل انظر د. حنان مصطفى أخميس موقع دنيا الوطن . https:pulpit alwatanvoice.com

(٢) احمد، محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية،ص١٩٣.

(٣) دراز، محمد صلاح: مراحل تطور الديانة اليهودية

وتم الاعلان عن اسمه لأول مرة على الرغم من اعلان المؤرخين اليهود ان يهوه اله ابراهيم واسحق ويعقوب عليه السلام فقد خلت التوراة من النصوص الدالة على ذلك كما خلت الاثار الدالة على ذلك في التراث الديني اليهودي[١]

ثالثاً–تمثل هذه المرحلة بعد عصر موسى"ع" وحتى انقسام المملكة ،على الرغم من هذا البناء الديني الاخلاقي الذي اتخذته ديانة موسى"ع" فأن هناك عقائد ومفاهيم دينية جديدة اضيفت بعد عصر موسى نتيجة الاحتكاك الاسرائيلي بعدد من الشعوب الأجنبية في بيئة الشرق الادنى القديم ،كان لها تأثيرها الديني والحضاري على الاسرائيليين، وبعد وفاة موسى تابع امر اليهودية "يوشع بن نون" في عهده دخل بنو اسرائيل الى ارض كنعان في شكل تسلسل وغزوه بالقوة فتأثروا بآلهة الكنعانيين[٢] ويمكن القول

بشكل عام ان هذه الفترة الكنعانية لم تؤد الى تطور ايجابي في الديانة الإسرائيلية بل ادخلت فيها كثيراً من العناصر الوثنية التي اصبحت موضوعاً دائماً للنقد النبوي فيما بعد[٣]

---

(١) احمد، محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية،ص١٩٥.
(٢) سعيد، حبيب: اديان العالم،ص٢٢٣.
(٣) احمد، محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية،ص٢٠١.

ثانيا: أعلام الفلسفة اليهودية في العصر الهيليني

أ- علاقة الفلسفة اليهودية بالفلسفة الهلينية[١]

عاش اليهود في عصر البطالة حياة مكرمة ولم يضطهدوا باسم الدين ونحمة التوراة زمن "بطليموس فيلادلفيوس" الى اليونانية ونشطت الحركة الفكرية بينهم واستطاع فيلون ان يقدم نظرية عن فكرة اللغوس وكانت هذه في الواقع فترة رخاء نعم بها اليهود في مصر ان قورنت بحالة اليهود في البلاد الاخرى[٢] اما في العصر الهلينستي فقد انتعش اليهود وخاصة في فلسطين وتأثروا بالحضارة الاغريقية وبخاصة في حكم انتيوخوس ابفانانوس(١٧٥ق.م-١٦٤م) الذي اراد ان يدخل الالهة اليونانية الى فلسطين واخذ يدعو الثقافة الاغريقية ويروج لها ،ولما تأسست الاسكندرية اقام بها كثير منهم واستطاعوا ان ينعموا بمظاهر الحضارة اليونانية بل نسو العبرية واتخذوا اليونانية لغة لهم ومن هنا ظهرت الحاجة الى ترجمة العهد القديم الى اللغة اليونانية[٣] ومع نهاية العصر الفارسي التي وضعتها فتوحات الاسكندر الاكبر للشرق الادنى القديم بدأت مرحلة جديدة ومختلفة تماماً عن المراحل السابقة في تطور اليهودية وهي تعد من اخطر المراحل التي مرت بها اليهودية ففي المراحل السابقة لم تتعرض اليهودية كعقيدة وشريعة لخطر اجنبي ورئيسي ولم تترك عصور المصريين والاشوريين والبابليين والفرس سوى بعض الاثار القليلة في الديانة اليهودية، وذلك بسبب الطبيعة الوثنية لديانات هذه الشعوب ولكون اليهودية اكثر تقدماً على المستوى الديني من هذه الديانات فتمكنت من مقاومة الافكار الدينية(الكنعانية والاشورية....) ولكنها وقفت عاجزة امام الغزو اليوناني ،والسبب في هذا ان اليونان لم يأتوا الى الشرق بدين جديد ينافس اليهودية او يهددها بالخطر لكنهم اتو بمنهج للتفكير مختلف عن المنهج اليهودي، فالمنهج

---

(١) الحضارة اليونانية عصر هليني وعصر هلنستي: الاول عصر الحضارة اليونانية في بلاد اليونان ومستعمراتها بوجه عام ،وهو يبدأ قبل القرن السادس ويمتد حتى سيطرة الدولة المقدونية على بلاد اليونان، اما العصر الثاني فيبدا مع فتوحات الاسكندر ويمتد عدة قرون بعده وهو يشمل مدارس اثينا ومدارس الاسكندرية حتى القرن الخامس الميلادي تقريباً، ومن ثم فأن كلمة "الهلينستية" لا تستخدم ابداً الا بعد موت الاسكندر حوالي عام ٣١٢ق.م،ينظر ،جيلسون ،الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط،ص٤٠.

(٢) عطيتو، حربي عباس: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الاسكندرية القديمة،ص٢٥٠.

(٣) مطر ،اميرة حلمي: الفلسفة عند اليونان ،ص٢٨٦-٢٨٧.

اليهودي منهج ديني اساسه الوحي الذي يعتبر المصدر الاول والاخير للمعرفة، اما المنهج اليوناني فهو منهج عقلي اساسه العقل كمصدر للمعرفة وينكر الوحي ودوره كمصدر للمعرفة والمشكلة ببساطة تتمثل في ان الأخذ بالعقل اليوناني معناه اخضاع الوحي لمقولات العقل رغم اختلاف المصدر ،فالأول مصدره الهي، بينما الثاني مصدره أنساني[١].

ب : فيلون الاسكندري

١ – حياته ومؤلفاته

فيلسوف يهودي وكاتب يوناني، هو ابن لأسرة يهودية ثرية، وقيادي بارز في المجتمع الاسكندري[٢] حيث يتمتع بمكانة فكرية هامه في مدرسة الاسكندرية باعتباره رائد للدراسات التوفيقية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية ، وباعتباره اول من حاول بوضوح اثبات وحدة الحقيقة رغم اختلاف مظاهرها من ناحية الدين او من ناحية الفلسفة[٣] وكان كبير المنزلة بين ابناء جنسه اليهودي كما كان على علم ودراية تامة باليهودية والفلسفة الاغريقية ،رغم اننا لن نكاد نعرف شيئاً عن حياته [٤] فالأقوال بشأنها متضاربة[٥] رغم تضارب الروايات حول عام مولده وعام وفاته انه عاش فيما بين منتصف القرن الاول قبل الميلاد ومنتصف القرن الاول الميلادي ، وانه بلغ ازدهاره بين طائفته بالإسكندرية في عصر الامبراطور كاليجولا[٦] وقد تزعم المدرسة الفكرية في الإسكندرية التي جمعت بين التوحيد اليهودي وفلسفة أفلاطون.. كان متصوفاً، ورائداً للأفلاطونية المحدثة، ومؤسساً لمذهب في التأويل الرمزي المجازي مستفيداً من مناهج الفلسفة اليونانية التي سادت آنذاك في مدرسة الإسكندرية الفلسفية. فألّف كتابه الشهير

---

(١) احمد، محمد خليفة حسن: تاريخ الديانة اليهودية،صص٢١١-٢١٢.

(٢) النشار، مصطفى: مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، ص٥٨.

(٣) عبد الغني، مصطفى لبيب: تطبيقات الفلسفة اليهودية ،ص٥.

(٤) عطيتو، حربي عباس: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الاسكندرية القديمة،ص٢٥١.

(٥) يرى كوبلستون: انه ولد في ٢٥ق.م ومات في وقت لاحق ٤٠ق.م انظر مج١، من كوبلستون، تاريخ الفلسفة، بينما يرى برهييه: انه عاش في ما بين عام ٤٠ق.مو٤٠ بعد الميلاد انظر: برهييه، الآراء الدينية لفيلون الاسكندري ، ،ص٢٢٦.

(٦) النشار: مدرسة الاسكندرية الفلسفيه،ص٥٨.

(الشرح المجازي للشرائع المقدسة)، وصاغ نظرية فلسفية أساسية عن اللوغوس Logos في مؤلفه (في عبودية الأحمق، في حرية الحكيم). كما دوّن بعض الكتب الفلسفية مثل (في دوام العالم)، و(في العناية الإلهية). حرص فيلون على تأويل نصوص التوراة خاصة (سفر التكوين) تأويلاً نظرياً متشبعاً بالفلسفة اليونانية، فكان يدعم تفسيراته بمختارات من هذه الفلسفة، وخاصة أفلاطون، لكنه كان يقف في تأويله للإلهيات عند حدود الشريعة لا يتعدّاها. والنفس عند فيلون خالدة وهي نعمة إلهية، لكن الله قادر على إبادتها لو تدنست وهبطت إلى العالم الأرضي، وهذا التصور حول خلود النفس يختلف عن الخلود الأفلاطوني. أما العالم فهو مادي متناه، والمادة فيه مصدر الشر الذي تسعى النفس إلى الخلاص منه، إما بالمجاهدة والزهد وهو طريق المريدين (طريق يعقوب)؛ أو بالعلم (طريق إبراهيم)؛ أو بالنعمة الإلهية (طريق إسحق) كي تبلغ الله وتتّحد به، وهذا هو الإيمان وعين التصوف. بدأ فيلون من الدين، واستعان بالفلسفة، لا العكس، كما هي عليه الحال لدى الفلاسفة السابقين، كان الإيمان عنده سابق العقل طبقاً للمقولة التي أتى بها فيما بعد القديس أوغسطين (آمن كي تعقل، وأعقل كي تؤمن)[1] ودرس فيلون الفلسفة اليونانية وسائر الفلسفات التي كانت تموج بها الاسكندرية في عصره، وكان يلقب بأفلاطون اليهود لان فلسفته قامت على فلسفة افلاطون والمذاهب الافلاطونية بصفة عامة فضلا عن تأثرها ببعض الافكار الشرقية القديمة ومن ثم كان لفلسفته اثر كبير في الافلاطونية الجديدة والادب المسيحي[2]

---

(1) ينظر :عطيتو ، دكتور حربي عباس، ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة، ص ٢٥٠-٢٦٠ ، و ينظر : برهييه ، اميل، تاريخ الفلسفة ، الجزء الثاني ، الفلسفة الهلينستية والرومانية، ص ٢٢٦ ،و ينظر : كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية، الناشر ، دار القلم ، بيروت ، طبعه جديدة ، د ت، ، ص ٢٤٧-٢٤٩.

(2) برهييه، الآراء الدينية لفيلون الاسكندري ،ص١.

٢– فلسفته

أ–التأويل الرمزي

وجدت طريقة التأويل الرمزي او المجازي في عصر فيلون وشاع استخدامها في العالم الاغريقي حيث طبقت على الاساطير اليونانية والقصائد[١]وشاعت ايضاً عند الرواقيين وفي تفسيرهم لقصص الميثولوجيا اليونانية والهة الدين الشعبي، وكذلك عرفها السفسطائيين ولعل فكرة التأويل المجازي التي تفترض ان الحقيقة مختفية وراء رموز وامثال انما ترجع الى الاسرار الاورفية، وقد استعمل فيلون هذه الطريقة لتأويل قصص التوراة[٢] وقد كان يهود الاسكندرية يشرحون التوراة شرحاً رمزياً على نهج شرح الفيثاغوريين والافلاطونيين والرواقيين لقصص الميثولوجيا اليونانية[٣] ان التأويل عند فيلون كان رغم التزامه بالتفسير الحرفي تأويلاً عقلياً يحاول استخراج اعظم ما في النص الديني من دلالات وايحاءات قد تخفي على اصحاب التفسيرات الاسطورية ،لقد كان هدف التأويل الفيلوني الدفاع عن العقيدة ضد من اتهموها بأنها اساطير[٤] فمن تأويله لسفر التكوين:(ان الله اول ما خلق، خلق العقل النقي السماوي الذي يحيا بالفضيلة التامة، ولكنه شكل على مثل هذا العقل السماوي عقلاً ارضياً يرمز له بشخصية ادم ثم يخلق له مساعداً وهو الاحساس او"حواء". لكنها تضله وتغويه، والتي يرمز لها "بالحية"،غير ان الامل والرجاء يعودان الى النفس "انيوس" فتأسف النفس على ما صدر عنها فيملأها الندم" ادريس" لينتهي الامر بالعدالة "نوح" والتطهير التام" الطوفان")[٥] وهذا أبرز مثال يوضح استعمال فيلون الاسكندري لطريقة التأويل الرمزي لنصوص الكتاب المقدس ، وهي طريقة لجأ اليها فيلون وكما يذكر "اميل برهييه" لكي يجعل الشرعة اليهودية شريعة عامة لاتختص بمكان دون مكان او زمان

---

(١) عطيتو، حربي عباس: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الاسكندرية القديمة،ص٢٥٢.
(٢) مطر، اميرة حلمي: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها،ص٣٩٠.
(٣) النشار، مصطفى، مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية،ص٦٠.
(٤) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية،ص٢٤٨-٢٤٩.
(٥) مطر، الفلسفة اليونانية ،ص٣٩٢.